

حيّا الله الإخوان المسلمين.. بقلم: الشهيد سيد قطب



الأربعاء 11 يناير 2023 08:50 ص

لقد تلفتت مصر حين جد الجد وتخرج الأمر، ولم يعد الجهاد هنا فأً وتصفيقاً، بل عملاً وتضحياً، ولم يعد الكفاح دعابةً وتهريجاً بل فداءً واستشهاداً.

لقد تلفتت مصر فلم تجد إلا الإخوان المسلمين حاضرين للعمل، مهتئين للبدل، مستعدين للعداء، مدربين للكفاح، معترمين الاستشهاد.

لقد تركوا غيرهم يخطبون ويكتبون، أما هم فذهبوا فعلاً إلى ساحات الجهاد، ولقد تركوا غيرهم مجتمعين وينفضون، أما هم فقد حملوا الحق ومضوا إلى تنفيذه صامتين.

غيرهم يحاول أن يأخذ طريقه للعمل، ويحاول أن يبدأ بالفعل بالتدريب، أما هم فكانوا عدة مصر المهيأة. عدة مصر الحاضرة. عدة مصر العاملة. عدة مصر التي أعدت نفسها للجهاد، فلبت منذ اليوم الأول داعي الجهاد.

ومع بروز هذه الحقيقة، فإن بعض السفهاء شرعوا أقلامهم ليحاربوا الإخوان المسلمين، وبعض التافهين شرعوا ألسنتهم للنيل منهم، ومن عجب أن تكون دعوى السفهاء أن الإخوان يتحدثون والمعركة نائرة في الميدان. الميدان الذي لم يقتحمه حتى اللحظة إلا الإخوان!

إن الصغار المهزولين لا يدركون روح الإسلام التي يسير على هديها الإخوان.

إن أرواحهم الهزيلة الصنيلة المدغولة لا يمكن أن ترتفع وتتسع لتشرف على تلك الآفاق العالية.

إنهم يؤمنون بأن «لا كفاح بلا عقيدة، وأن أصحاب العقيدة هم الذين يكثر عند الفزع ويقلون عند الطمع»، وإن الواقع العملي يؤيد هذه الحقيقة، وإن الإخوان هم وحدهم اليوم في الميدان؛ لأنهم هم وحدهم أصحاب أضخم عقيدة تدفع بالمؤمنين دفعاً إلى الميدان.

إن الوطنية الحارة المتحمسة قد تدفع بأصحابها إلى النضال، وإن العدالة الاجتماعية النائرة قد تدفع بأصحابها إلى الكفاح، ولكن هذه أو تلك لا تزيد على أن مطلبها قريب، وأفقها محدود.

أما أصحاب العقيدة في الله - على طرق الإسلام - فمطالبهم أكبر وآفاقهم أشمل.

إنهم يطلبون العزة للإنسان كافة، فهم أشد حماسةً للوطن من حماسة الوطنيين المحدودين، وإنهم يطلبون العدالة في كل مجال، فهم أشد حماسةً للعدل الاجتماعي من كل إنسان.

ثم إن لهم بعد هذا وذلك أفقهم الأعلى والأكرم والأشمل؛ لأنهم يعملون لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولأنهم يصلون أنفسهم بالله في كل خالجة؛ ولأنهم يرجون عند الله أكبر مما ينفقون في سبيل الله. أكبر من المال وأكبر من النفس، وأكبر من الحياة.

إنهم جنود الغداء كلما دعاهم داعي الغداء، وحيثما دعاهم داعي الغداء.

إنهم باعوا أنفسهم لله منذ اشترى نفوسهم الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة: 111)

وما كان لسفاهة سفيه، ولا للمزة جاهل أن تنال أصحاب عقيدة في الله، حاربتهم ملة الكفر كله، وحاربتهم الاستعمار مجتمعا، وحاربتهم الإقطاعية متكنلة، وحاربتهم الرأسمالية طالمة، وحاربتهم الشيوعية متجنية، وحاربتهم الخبث والفساد والبشر والرذيلة جميعا، ثم ارتدت عنهم جميعا. ارتدت محطمة خائبة خاسرة؛ لأنها كلها من قوى الأرض، وهم عائدون بقوة السماء؛ ولأنها كلها من عالم الفناء وهم عائدون بعالم البقاء.

لقد صحت الأمة الإسلامية بعد طول سبات، ولو كانت إلى فناء وموت ما استيقظت من سبات، ولقد صحت بعد نوم طويل فليس من سنة الحياة أن تنام من جديد.

لقد صحت لتحيا، وصحت لتنمو، وصحت لتتنفص عنها الشوائب والأخطا.

وإذا كانت الأمة الإسلامية لا تزال تتعثر، وما تزال تكبو، وما تزال تضطرب. فتلك هي اختلاجة الحياة الجديدة، لا سكرات الموت، ولا صراعات الداء.

تلك هي علائم الصحة واليقظة بعد نوم طويل وهمود، والمستقبل لها، والدلائل كلها تشير إلى هذا المستقبل.

إنه لا كفاح بلا عقيدة، ولا حياة بلا عقيدة، ولا إنسانية بلا عقيدة، ولقد كنا نقولها كلمات فيتخذها السفهاء الصغار لعبا ولهوا. أما اليوم فتقولها الوقائع، وتقولها الأحداث، فإذا تشدق لسان تافه، وإذا تلاعب قلم هزيل، فتلك هموم التافهين المهزولين (*) في كل زمان وفي كل مكان

